العربي السفير
جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان
17 | 1
الخميس 24 تموز 2014 ـ الموافق 26 رمضان 1435 هـ ـ العدد 12830
AS-SAFIR Arabic political daily – July 24, 2014 N° 12830

الحلقة الخامسة من أقاليم اليمن: سكان تهامة الثرية.. هم الأفقر في البلاد. و«الفكرة» أنّ عموم المصريين لا يشبهون هؤلاء الذين يحتلون واجهة المسرح. وقانون العنف ضد النساء في المغرب.
2

هل النموذج الإسلامي المغربي قابل للتصدير: الاهتمام بإعداد أئمة لكل إفريقيا. وقانون جديد لمعالجة البناء المخالف في مصر.. يعاقب الشاري ويترك سلسلة الفاسدين وشأنهم.
3

خاص بغزة المقاومة: تغور في البحر؟ ومقولة «الشعب يدفع الثمن». و«بألف كلمة» لقطات من تظاهرات التضامن في العالم. و«حلم» عن نساء غزة المقاومات. وختامها كبار شعرائنا يحيون غزة.
4

المصالحة الوطنية في العراق: الدم والفساد

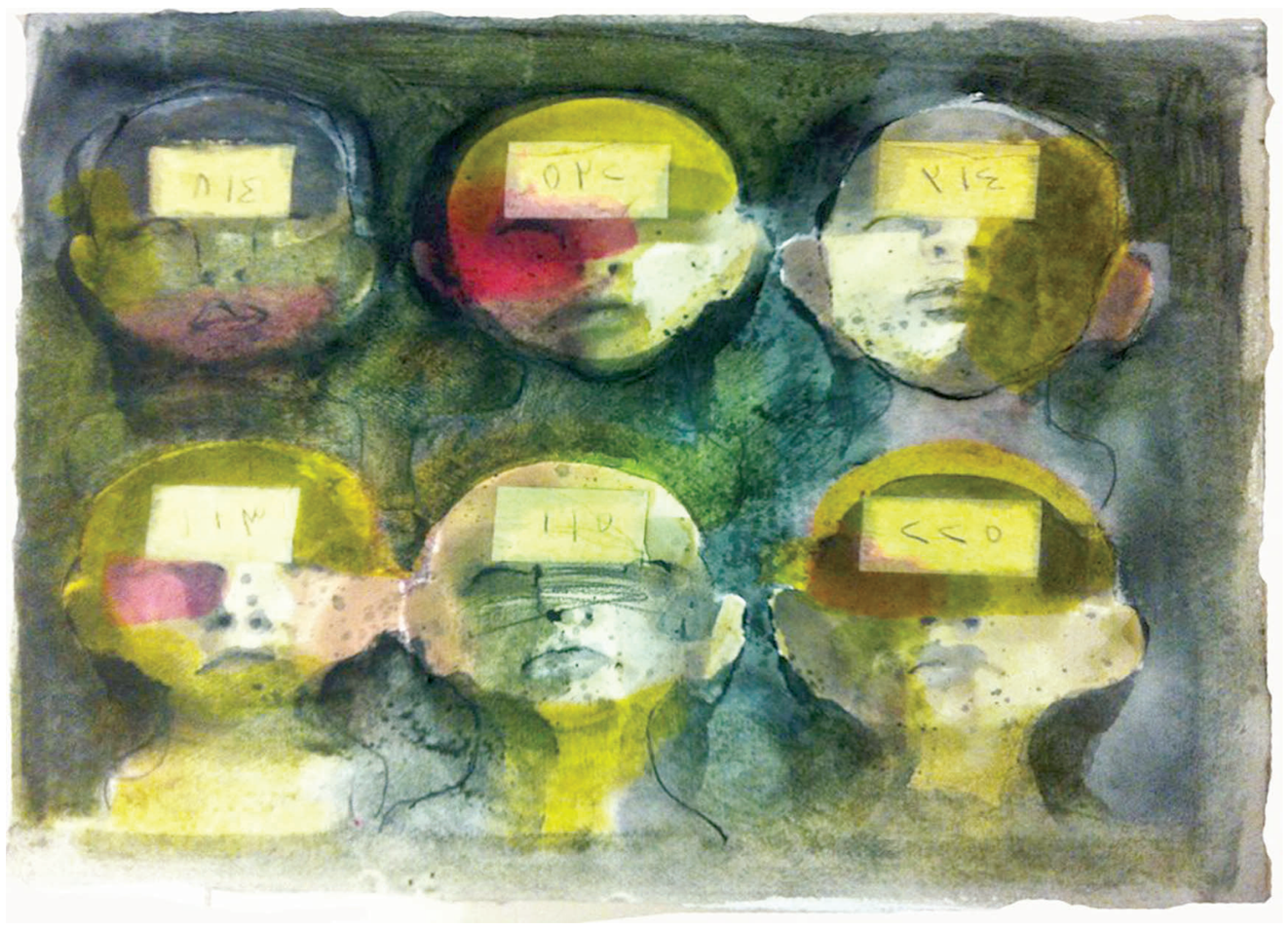
سيروان باران ـ العراق

هزة متوسطة على مقياس التنافر الاجتماعي الذي خلّفه احتلال العراق من قبل القوات الأميركية في نيسان/أبريل 2003، كانت كافية لإظهار المخزون الطائفي لدى الكثير من العراقيين، واحتلال نينوى، ثاني أكبر المحافظات العراقية، من قبل تنظيمات مسلّحة أظهر ذلك جلياً. كتّاب ومثقفون، بعضهم لاديني وبعضهم الآخر أقرب إلى الإلحاد منه إلى الإيمان، سرعان ما أعادوا تخندقهم الطائفي، وقفز مربّع الهويات الفرعية مجدداً إلى الواجهة. إنه المربع الأول: مربع السنّة والشيعة. الجميع يفتح النار على الجميع، حيث أصبحت صفحات التواصل الاجتماعي مسرحاً حيّاً للتراشق بالاتهامات والاتهامات المضادة، ولو قيّض لفريق من علماء الاجتماع أن يحلّلوا هذا الكمّ من الشتائم والتخوين والتحقير المتبادل بين الطوائف، لخرجوا بنتائج مذهلة عمّا وصل إليه المجتمع الذي عانى طيلة العقود الأربعة الماضية من كم هائل من البطش والتنكيل والتجويع والاحتلال. ما الذي يحصل؟ أين كان يختبئ كل خزين الحقد هذا على الطرف الآخر؟ كيف لم يروّض طيلة السنوات الماضية؟ كيف لم يلجمه الموت؟ ولِمَ يُرمَ اللوم على الطوائف في سقوط المدن بدل الدولة؟ بات العراقيون السائرون في الشوارع بالنسبة للسلطات، زحاما من علامات الاستفهام، حيث الأسئلة معلقة على شفاه الناس، وتلف جثامين الضحايا. أسئلة بلا أجوبة في بلد لا يشبه أي بلد معاصر من حيث بنيته السياسية وتكوين أحزابه وتقاسمها للسلطة. كيف إذن تُدار الدولة بالفعل؟

عقد أولي للمصالحة

يقول أكثر المعتدلين في العراق أن في لحظات مأزومة كهذه «الصمت علاج.. لو تكلّمتَ لخرجتَ بنبرة طائفية»، الأمر الذي من شأنه أن يؤجج الموقف أكثر. أما السياسيون، فهذه فرصتهم السانحة للنيل من خصومهم من الطرف الآخر، الشيعة يرمون باللوم على السنة، والعكس يحصل بالتأكيد.

تحضر في هذه الملهاة المليارات التي أنفقتها الحكومات العراقية المتعاقبة على «لجنة المصالحة الوطنية» (لزرع المحبّة بين الطوائف؟)، وهي لجنة تدار بعقلية العشيرة. إلا أن الحكومة عجزت عن ردم الفجوات التي عمّقها الاحتلال الأميركي للتخفيف من حدّة ضرب الشيعة والسنّة لجنوده وآلياته، منطق «فرق تسّد» بصيغة العراق، وذلك لإرساء الطائفية وخلق اقتتال أهلي. وقد لا يخفى على أحد الآن أنه كان من الصعب دمج السُنة في العملية السياسية التي تمت بعد الاحتلال وذلك لخسارتهم نفوذهم في السلطة، أو على الأقل هذا كان مصير العائلات السنية المقتدرة مادياً التي كانت تحابي النظام السابق. إلا أن ما عُدّ بمثابة عقد أولي للمصالحة، عبر انخراط بعض وجهاء السنة في العملية السياسية والمشاركة في كتابة الدستور عام 2005، ومن ثَمّ خوض الانتخابات، لم يصمد طويلاً، إذ لم تمض بضع سنوات إلا وبدأت الحكومة، التي هي نتاج المحاصصة الطائفية، تلفظ هؤلاء ليحل محلهم المتطرفون المتاجرون بالدين والطائفة، ممتطين شعارات التهميش والاقصاء.

الصحوات على صفيح ساخن

تعود أولى خطوات الطلاق في زواج المنفعة ذاك الذي ربط بين سياسيّي الطوائف، إلى العام 2011 عقب الانسحاب الأميركي. كانت أولاها اتهام نائب رئيس الجمهورية طارق الهاشمي بقضايا إرهاب، وثانيها اعتقال مجموعة من حمايات وزير المالية الطبيب رافع العيساوي، الذي كان دخوله إلى العملية السياسية ضمن صفقة مع واشنطن التي اتهمته بأنه خلال فترة عمله في مستشفى الفلوجة عالج المسلحين الذين قاوموا جنودها. جاء التعرّض لهذين القياديين السنيين بمثابة إعلان حرب على السنّة، بحسب ما فهم، أو أُفهم العامة من أبناء المناطق الغربية من العراق ذات الأغلبية السنية. وزاد طين الأزمة بلّة، قطع المرتبات الشهرية عن أعضاء الصحوات في الأنبار (وكلهم من السنّة) التي شكلها الاميركان عام 2007 لمحاربة القاعدة ونجحوا إلى حد كبير في مهمتهم بالقضاء عليها. طالب هؤلاء بدمجهم في قوات الجيش العراقي على غرار ما فعلت الحكومة مع الميليشيات الشيعية، إلا أن الحكومة رفضت ذلك، وبات الكثير منهم عرضة للموت والتنكيل من قبل مسلحي «الدولة الإسلامية في العراق والشام» (داعش). كانت ذريعة إبعادهم أن رواتبهم تشكل عبئاً على الميزانية. لكن موازنة مشروع المصالحة الوطنيّة، التي تتكفل بدفع رواتبهم، بقيت كما هي (12 مليون دولار شهرياً). وبدلاً من احتضان هؤلاء الرجال الذين حاربوا القاعدة و«داعش»، انفقت ميزانية المصالحة الوطنية على عقد مؤتمرات تافهة، تلقى فيها قصائد مسطحة وخطب أكثر تسطيحاً.

وستعطي سلسلة الأفلام التي انتجها التنظيم الإرهابي، مثل فيلم «صليل الصوارم»، فكرة أوضح عن تخلي الحكومة عن هؤلاء الذين ناصروها وساعدوها على استتباب الأمن في المحافظة التي أصبحت لاحقاً مرتعاً للتنظيمات المتشدّدة.

كل هذا كان يجري بينما كانت الحكومة، وعلى رأسها رئيس مجلس الوزراء نوري المالكي، ترعى بشكل واضح ميليشيات (شيعية) أصبح لها سطوة في الشارع العراقي، فضلاً عن استخدام أفرادها سيارات تابعة للدولة، وأغلب أعضائها يحملون بطاقات هويّة تؤهلهم الدخول إلى المنطقة الخضراء المحصنّة، كما تم تأسيس ميليشيات أرسلت للقتال في سوريا، وإحداها تابعة لوزير النقل العراقي أمين عام منظمة بدر، المقرّب من المالكي، هادي العامري.

الفراغ يخلف خراباً

بات الخراب يتربص لملء الفراغ الذي خلفه إبعاد القوى السنيّة. المعادلة معروفة، وتناولها الكتاب والصحافيون المعتدلون في مقالات هي عبارة عن نواقيس خطر وصلت أسماع الحكومة. لكن أية حكومة؟

تحوّلت الحكومة إلى بضعة أحزاب تعتاش على الطائفية التي رسختها داخل النسيج المجتمعي العراقي، «اعطهم طائفية أكثر.. خذ أصواتاً أكثر»، هذا ما عمل عليه عدّة نواب في حملاتهم للترشح الى البرلمان العراقي في نسخته الثالثة التي انتجتها انتخابات نهاية نيسان / أبريل الماضي، ومنهم نائبة في ائتلاف المالكي رددت أكثر من مرّة عبر الفضائيات «أريد قتلى من السنّة بعدد قتلى الشيعة». لم تتوقف هذه النائبة وحزبها عند المعادلة الرياضية التي تقول أن الشيعة هم الأغلبيّة، وأن التفجيرات في المناطق المختلطة أينما حلّت لا بد وأن تطيح بالشيعة أكثر من السنّة، ولم تهمّها معادلة أن المناطق السنية أصبحت حاضنات للتنظيمات الإرهابيّة، بعد أن تسلل الفساد إلى المؤسسة العسكرية من خلال بعض قادتها وبعض أفرادها، وبعد أن ترك رئيس الحكومة، حلفاء الأمس لقمة سائغة لعربدة «داعش».

لكن ما هي المصالحة؟

إبان الاقتتال الطائفي الذي اندلع عام 2006 في العراق، سارع عامر الخزاعي، أحد المقربين من المالكي، إلى تأسيس «لجنة المصالحة الوطنية»، من أجل التخفيف من وطأة الميليشيات المتقاتلة في الشوارع، ودمجها في المؤسسات والحياة العراقية. وهكذا أنفقت ملايين الدولارات على الميليشيات، السنيّة والشيعية، من أجل سحب السلاح منها، وإبعادها عن الاقتتال. وفي العام 2010، بعد إجراء الانتخابات النيابية، ابتُدِعت «وزارة المصالحة الوطنية»، التي كانت حقيبتها للخزاعي، ضمن التوليفة الحكومية التي تورمت استجابة للطامعين في السلطة لتصل الى 43 وزيراً، رشّقت اثر تزايد الانتقادات وأُلغيت منها عدة وزارات، بضمنها وزارة المصالحة، وعاد الخزاعي ليكون مستشار رئيس الوزراء لشؤون المصالحة الوطنيّة. وهذه المستشارية لها أموالها (لا يعرف أحد بالتحديد حجمها) التي تنفقها من أجل «إرساء روح المحبة بين العراقيين». لكن الفساد في المستشارية طغى على المحبّة، فاتهم الخزاعي بصرف أموال على «صحوات» ليس لها وجود فعلي على الأرض، فضلاً عن انفاقه أموالاً على ميليشيات طلّت معارضة للحكومة، من أجل اقناعها بالدخول تحت عباءة الدوّلة. وكان صرف هذه الأموال حبراً على ورق. ففي الوقت الذي تؤكد فيه الصرفيات أن الميليشيات اقتنعت برمي السلاح، كانت وتيرة عملياتها تتصاعد وتؤسس لشراكات فيما بينها من أجل احتلال المدن. لكن «الحاج» كما يطلق المقربون على المالكي، وكعادته، غض النظر كما هو متعارف عنه حين يُتهم أحد المقربين منه. وبعد سقوط الموصل بيد التنظيمات التي كانت الحكومة، عبر مستشارية المصالحة، تتفاهم معها، حار المالكي على من يرمي اللوم (الرجل يتسلم إدارة المخابرات ووزارة الداخلية والقيادة العامة للقوات المسلحة). في البدء كان تقديم القرابين الحل المثالي، فدفع بـ«59» ضابطاً إلى القضاء (أحدهم قال بأن أوامر بالانسحاب جاءته، وتساءل لماذا يُحاكم). لكن هذه الحجّة لن تكفي لإقناع الشارع العراقي، فلجأ الى النظرية الوحيدة التي تربّى على سماعها العراقيون: «هناك مؤامرة حصلت».

ترسيخ التفرقة

فعلياً، رسّخت الحكومات العراقية التي تعاقبت بعد عام 2003 مشروع عدم بناء الدولة، وجعلت الأمر منفلتاً حتّى لا تُعاب عليها أفعالها المخزية، وأخطاؤها الكارثية. وكان هذا ينغرس أكثر داخل المجتمع العراقي من خلال تحويل الحكومة ـ أي حكومة ـ إلى مجموعة من الأحزاب المتقاتلة فيما بينها، وغير المتجانسة في اتخاذ القرارات، الأمر الذي يهيء المواطن العراقي إلى إلقاء اللوم على حزب بعينه في أي حدث يحصل، بدل لوم الحكومة المتشكلة من سلة الأحزاب المشاركة في العملية السياسية. وهكذا، نأى المالكي (القطب الشيعي في الحكومة) بنفسه عن محاسبة جمهوره، وكذلك فعل النجيفي، القطب السني الذي كان يترأس البرلمان.

ظلّ مشروع المصالحة الوطنيّة في العراق بوابة ليست لاستدراج الخارجين عن القانون إلى داخل خيمة القانون، وإنما من أجل كسب ودّ العشائر والأفراد المؤثرين لصالح حزب في الحكومة. أي أنه يصبح طوع أمر هذا الحزب من أجل التوجه عبر أولئك الوجهاء بأصابع الاتهام إلى وجهاء الطرف الآخر الذي يناصب الحكومة العداء.

ولم تشمل المصالحة بطبيعة الحال الأفراد الذين يشعرون بالحيف من ممارسات الحكومة التهميشية، الأمر الذي زاد من رقعة الخلاف والبحث عن خيم أخرى غير خيمة الحكومة، ما أدى أيضاً إلى تعميق هوّة الخلاف بين فئات المجتمع التي تُضخّ لها الأفكار عبر المنابر الدينية والسياسية كلّ يوم.

في المحصلة، بعد مئة عام من الآن، ستدرس تجربة المصالحة الوطنية في العراق على أنها الأسوأ بين مثيلاتها التي حصلت في افريقيا واميركا اللاتينية، وسيتبين لدارسيها أنها عمّقت من حدة الخلاف، وزادت منسوب الدم في الانهار العراقية المتخمة بالجثث.

عمر الجفّال
كاتب صحافي من العراق

سوسيولوجيا الفايسبوك في رمضان

ما إن خرجت البرازيل من الشاشة الكونية حتى دخلها ثعبان جدول الأعمال المحلي، وفيه لقطات بئيسة ومذلة على مقاسنا، وقد صار الدم مدرارا بسبب هيمنة التشدد والفساد بشكل غير مسبوق.

ففي فجر الجمعة 11–07–2017، انهارت ثلاث عمارات بالدار البيضاء وقتل فيها ثلاثة أشخاص. جاء الملك محمد السادس فورا من صلاة الجمعة إلى موقع الحادث، أعطى أوامره بإيواء المشردين وعلاج خمسين جريحا. كان منسوب الحزن منخفضا بالنظر لعدد الضحايا. لكن عدد القتلى وصل الى 25 بعد يومين، وتوقف البحث بسبب مخاوف من انهيارات جديدة، ليتعفن من تبقى تحت التراب... ساد صمت رهيب في البلد. شعر الجميع بالعار في قاع الحضيض. لن يكون هذا الانهيار هو الأخير. فعشرات آلاف المباني في الدار البيضاء مهددة بالانهيار لسببين، الأول هو التقادم بلا صيانة (يعود تاريخ بناء العمارات إلى 1960)، والثاني ـ ولعله الاهم ـ هو خرق قوانين البناء. فبدل طابقين المسموح بهما وصل عدد الطوابق إلى خمسة. سننزل إلى قاع قاع الحضيض قريبا.

تكشّف أن هناك مدناً عشوائية فوق السطوح، وهذا يسبب العار لمغاربة الفايسبوك. وقد عبروا عن ذلك ببلاغة خفيفة مثل ملابس الصيف. وبحثا عن هؤلاء البلغاء، أقضي نهار رمضان أتسكع في الفايسبوك لأجد ما يكثف وضعنا تراجيديا.

كتبت الشاعرة عائشة بلحاج على صفحتها «من لطف الله بنا، أنّه لم يضعنا في منطقة زلازل أو كوارث طبيعية، وإلاّ كنا رحنا... لو كنّا في بلد يحترم نفسه، لقُدّم كلّ من تسبب في الحادث المأساوي من مقاولين ومسؤولين إلى المحاكمة بتهمة القتل العمد، ولانفجرت فضيحة التّجهيزات البدائية للوقاية المدنية أمام أنف الدولة». وكتب الصحافي محمد الراجي «يومَ مات 200 شخص في منجم بتركيا، نَكست الدّولة أعلامها... أمّا نحن، فقد مـاتَ لـحدّ الآن 25 مـواطـنـا مغربيا، أو بالأحرى قتلهم مُجرمو رُخص البناء، وما زالت القنوات التلفزيونية تبث حصص الضحك التافه فيما عائلات الموتى تتألّم وتتوجع، أمّا إعلان الحداد فلا يُقام إلا عندما يتوفّى شخصٌ يحسبونه «مهمّا»، وكأنّ بقية المواطنين مجرّد حشرات. فبأيّ حقٍّ سنحبّكَ أيّها الوطن؟». وعلق الكاتب ميمون أم العيد «الفرق بين غزة والدار البيضاء هو أن في غزة يعرفون من يقصفهم أما في الدار البيضاء فلا».

المسؤول في المغرب غير محدد. ويقال هو الفساد. من رآه منكم فليبلغه لعناتي.

هكذا صارت صفحات الفايسبوك منبرا لتنفيس الغضب ثم العجز. من هذا العجز تولد كتابة مغايرة. فدائما يزعم كتاب المقالات في الجرائد أنهم يفهمون. في الفايسبوك يكثر الذين يعلمون أنهم لا يفهمون فيسخرون. الكتابة الصحافية التحليلية أمر جدي مضاد للمزاح. لا يستطيع صحافي أن يعلن «أكتب لأني لم أفهم».

لننسف هذه البديهية برضاكم:

ماذا لو كان مزاحنا هو حقيقة نياتنا؟ ثم هل أنتم موافقون على أن كل من يكتب يفهم؟

لا.

جميل.

هنا سأكتب لسبب وحيد هو عدم الفهم. فالعبث واليأس في حدوده القصوى يوقف العقل. وهذا احتجاج على الذين نشروا مسلمة مغشوشة مفادها أن التعقل أصل في البشر.

عودة للذين عجزوا عن فهم خمسة طوابق وهم يستحقون الشماتة. لذا خرج لهم الشيخ عبد الله النهاري – الذي سبق أن هلل لتنقية المدن من العاهرات بطردهن، لا قتلهن – مفسرا الانهيار «إن الذين خرجوا لصلاة الفجر من المتدينين فقد نجوا. أما من بقي في العمارات فقد مات تحت الرمل».

ها!

التفسير ليس خرق الشروط القانونية والتقنية للبناء، وكون الجميع رأى زيادة ثلاثة طوابق ولم يحرك ساكنا. الحقائق صادمة، لذا فإن الاستغباء الجماعي للنفس والآخرين ضروري. زعم الشيخ أن ترك صلاة الفجر هو سبب وفاة 25 شخصا. هنا انطلق هجوم ضد الشيخ. نُسي الموتى وصار الشيخ يحتل الصفحات الأولى، وتلك أمنيته. ولكلامه تبعات، فهذا البلد الذي لا تقام فيه صلاة الفجر، يُهجر.

«الحمد والشكر لله الذي منّ علي بالهجرة في سبيله». هذا ما كتبته المجاهدة أم آدم – زوجة كريم المجاطي الذي قتل في السعودية – وهي تصل العراق للزواج من قيادي في الخلافة الناشئة هناك.

وقد أخبرتْ الكاتب العراقي عمر الجفال بأننا في المغرب أرسلنا لكم جهادية للزواج من الرجل الثاني بعد البغدادي، فشكرني على كرمنا قائلا: «ما بتقصروا يا محمد».

سعدت لسعادته بالهدية. ولم أقل له إن لأم آدم ابنا مجاهدا في صفوف «داعش» لكي لا يقلق. لكنه أحزنني حين كتب عن قتل عاهرات بغداد. خاصة أن المغرب هو المتهم الرقم واحد في هذا المجال. فبسبب غزة انتقدتْ أمل الخياط، وهي صحافية في قناة أون تي المغرب المستقر لأن اقتصاده قائم على الدعارة في ظل حكومة إخوان مسلمين. لم تفهم الصحافية كيف تشتغل هذه المعادلة. على أي حال، الحمد لله أن عاهرات المغرب بخير بينما قتلت عاهرات العراق بكاتم الصوت. فأتمنى أن يتسامح العراق مع عاهراته وراقصاته ليستقر. وكنتُ في بيروت قد سألتُ عمر الجفال عمن هي الراقصة التي يرشحها لحكم العراق في 2054، فنفى وجود راقصات في العراق وبقي المنصب شاغرا.

بسبب الشغور، لزم أن تعود الخلافة للعراق. وقد انهالت الطلبات على مولانا الخليفة «أينك يا أبا بكر البغدادي، يا بغداد أرنا في الصهاينة بطشك وقوتك».

في انتظار الخليفة، رد المغاربة بقوة على الصحافية التي شتمتهم لأنها لم تحرر مادة لتقدمها وكانت ترتجل لمدة ساعتين. أعلن المغاربة تعاطفهم مع غزة. قال سيون أسيدون إن سبب العدوان هو المصالحة بين فتح وحماس. أفتى الفقهاء المغاربة بعدم تناول التمور الإسرائيلية وكل من تناولها بَطُل صيامه. وقال شيخ الفتاوى الجنسية السيد عبد الباري الزمزمي، في تصريحات لموقع هسبريس، «إن أرض فلسطين مغتصبة من طرف المعتدين الصهاينة، وبالتالي كل ما ينتج فيها غير شرعي ولا يجوز التعاطي معه تجارة واقتصادا، إلا إذا كان الفلسطينيون هم أصحاب تلك الأراضي والمزارع التي تنتج التمور».

مغتصبة. لا مشكلة. ما نتج غير شرعي. إنه ابن حرام.

وهكذا دفن السؤال الرئيسي: ماذا تفعل التمور الإسرائيلية في المغرب أصلا؟ كيف للمغرب الذي تبلغ مساحته أضعاف مساحة إسرائيل وفلسطين، ألا ينتج اكتفاءه الذاتي من التمر؟ إننا كسالى، نأكل مما لم نزرع. هذه هي حقيقتنا السوسيولوجية الفايسبوكية.

محمد بنعزيز
كاتب وسينمائي من المغرب

المعركة

تعترف إسرائيل بـ27 قتيلا من جنودها (و«مفقود» كما تسمي الجندي الأسير، وهي تفضله ميتاً)، مقابل 566 فلسطينياً سقطوا في الأسابيع الثلاثة التي مضت منذ بدء عدوانها. يبتهج الفلسطينيون، على الرغم من اختلال الرقم. عيّدوا قبل العيد حين أسر الجندي وحين سقط أحد صواريخهم في ضاحية تل ابيب وجرح خمساً. زغردوا من قلب ركام يشبه مشاهد من نهاية العالم. فرحوا ليس لأنهم يعتقدون أن قتلى إسرائيل أكثر من ذلك بكثير ـ وفق ما يلمّح إليه أكثر من صحافي إسرائيلي، ووفق منطق الأشياء أيضاً، حيث نتج عن التورط الميداني للدبابات الإسرائيلية في غزة إصابات مباشرة لها يدرك معناها حتى من لم يكن خبيراً ـ بل لأنهم يعرفون أن المعركة لا تُحسب وفق هذا المنطق.

لا يمكن لإسرائيل ولا لحلفائها أن يفهموا سر هذا الفرح. يردّونه إلى السذاجة أو البدائية. أو يقنعون أنفسهم بأن الإنسان الفلسطيني، وإنساننا عموماً، اقل قيمة بنظرنا. وأننا نستسهل الموت. أبداً. بل لأننا نعرف أن الاختلال قائم في الأصل، في صيغة الوضع العالمي والإقليمي وحتى المحلي الفلسطيني، (وبصدد الأخير، فيكفي أن أبو مازن يعتبر نفسه.. وسيطاً!). أما الإضافة/المفارقة التي يقدمها اليوم صبر غزة وصمودها، علاوة على مقاومتها، فهي أنها تذكّر بحبة الرمل التي تعيق دوران الآلة. كان يفترض ألاّ يحدث. هُندس كل شيء لتقع سطوة ما يسمى «الواقع». صُنع الواقع نفسه من مزيج من إفقار الناس (حد البؤس)، وقمعهم (حد طغيان الاعتباط)، وتيئيسهم (بإشاعة قيم ملتوية). كان يفترض أنهم هُيئوا ليكونوا عبيداً صاغرين. ومن امتلك بعض المقومات دُعي ليكون من «الشطار»، أي لينتمي الى شريحة الطغاة على اختلاف أنواعها ودرجاتها... سوى أنه ما زالت أنابيب الغاز المصري (شبه المجاني) المتجهة إلى إسرائيل تُفجّر في سيناء، بل ما زال من يرى نفسه «شديد المسألة» يرمي ورداً في المتوسط من كل جهاته عساها تصل شاطئ غزة.. وما زال السيد نصر الله يتصل بمشعل وشلح متضامناً و«مستعداً للمساعدة» رغم صناعة الصراع السني ـ الشيعي ليُعمي على سواه... آلاف الأمثلة، من الناصرة في قلب أراضي 1948 إلى العالم كله: وغزّة هي اليوم تجسيد هذا النبض الحي!

نهلة الشهال

العربي السفير

ملف: أقاليم اليمن الستة

4 ملايين تغريدة أو اكثر لوسم «غزة تحت العدوان»
باللغة الإنكليزية انتشرت على موقع تويتر منذ بدء العدوان الإسرائيلي على غزة، في حين نال الوسم الذي أطلقه العدو «إسرائيل تحت النار» باللغة الإنكليزية 170 ألف تغريدة فقط، بحسب ما أعلن موقع «توبسي» للإحصائيات.

تهامة
إقليم الفقراء الثري (5)

مطلع العام الجاري، قرر «مؤتمر الحوار الوطني» توزيع اليمن على ستة أقاليم، اثنان منها في الجنوب واربعة في الشمال. كان القرار سياسياً بامتياز، يرسم مصير اليمن و25 مليون إنسان من دون كثير مراعاة للعوامل الجغرافية والاقتصادية والثقافية والسكانية والتاريخية. نشر «السفير العربي» ملامح آزال وعدن وحضرموت، ويقدم اليوم اقليم تهامة ثم سبأ.

تهامة اليمن، هي ملخص خارطة البؤساء والمستضعفين الذين يمتلكون ثروات هائلة يعبث بها النافذون والمتسلطون. منذ آخر ثوراتهم التي عرفت بـ«ثورة الزرانيق» كأول ثورة شعبية ضد حكم الإمام يحيى عام 1919، شكلت سعة فضاء إقليم تهامة برا وبحرا، تناقضا مريرا مع ضيق أفق الحياة الكريمة لأهله.. حتى الوقت الراهن! وهذا على الرغم من امتداده على جزء واسع من أخصب أراضي اليمن، ومن كونه نافذة كانت في وقت من الاوقات الوحيدة على العالم، ومحتويا على ميناء الحُديدة، والذي عمليا ما زال أهم ميناء يمني، إذ يستقبل قرابة 70 في المئة من واردات البلاد، وترسو عليه أغلب السفن بحكم ضعف الإقبال على ميناء عدن لأسباب متعددة. ومنذ سنوات، راحت الحديدة تمثل القبلة الأولى للسياحة الموسمية الداخلية.

يشكل الإقليم الحالي ثاني أكبر الأقاليم اليمنية من حيث المساحة وعدد السكان. ويضم 4 محافظات اثنتان منها بحريتان، وهما الحُديدة وحجة، والاخريان (ريمة والمحويت) مغلقتان. وباستثناء جزء من حجة الجبلية، فهذه الجغرافيا هي امتداد لنفوذ تاريخي لدول العصر الوسيط التي اتخذت من «زبيد» مركزا سياسيا وفكريا، ومثلت مصدر تنوير ثقافي شمل معظم اليمن حتى بداية القرن العشرين. وفي النصف الأول من القرن الماضي، حاولت فرنسا البدء باستغلال الثروات الطبيعية لتهامة وإنشاء خط سكة حديد بين الحديدة وصنعاء. لكن فشلت المحاولة بسبب شروط الإمام الثقيلة التي توجست من أي تدخل في البلاد حتى ولو لمساعدته في استخراج ثرواته.

إسأل عن المتنفذين

غير أن مزارع تهامة تتبع في معظمها لنافذين عسكريين وقبليين، يشترونها أحيانا، ويسيطرون عليها بالقوة غالبا، ليتحول ملاكها الأصليون إلى عمال بأجر زهيد لدى هؤلاء المسيطرين. وتعد أراضي تهامة ضحية النهب الأولى قبل أراضي الجنوب بعقود، لكن سلمية وبساطة أبنائها ساعدت على استمرار عمليات النهب المنظم حتى اللحظة، ولم يسلم حتى مطار الحديدة من نهب أراضيه الاحتياطية للتوسع المستقبلي، وهذه المرة من قبل قيادات عسكرية وليس فقط من ناهبين خلف الكواليس يديرون عمليات السطو من المركز صنعاء.

يستقبلك التهامي البسيط بأقل قدر من الثياب وكثيرا ما يكتفي برداء خفيف للجزء الأسفل من الجسم إلى جانب الثياب الداخلية. وهذا جزء من عدم التباهي كأخلاق عامة تشمل الأغنياء والفقراء. وفي الوقت نفسه، هو تكيف مع البيئة الشديدة الحرارة. وإن رأيت في شوارع الحديدة رجلا مسلحا فثق أنه غريب عن المدينة. فأهل تهامة أقل اليمنيين اهتماما بالسلاح، وهم أيضاً على أية حال الأقل قدرة على شرائه، كسائر الأشياء الأخرى التي يمنعهم فقرهم من التعامل معها.

بعد 2011، ظهر لأول مرة كيان جديد يسمى «الحراك التهامي» على غرار الحراك الجنوبي. لكن خطابه المناطقي، وغموض تحالفاته السياسية خارج تهامة أفقده إلى حد ما تعاطف الناس، حيث خلطت أنشطته وخطاباته بين «شركاء بناء تهامة اقتصاديا» الذين وقعوا ضحايا كأبناء تهامة ذاتها لنهب النافذين، وبين النافذين أنفسهم. مؤخرا فقط تشكلت لجنة رئاسية لمعالجة مسألة أراضي تهامة المنهوبة، على غرار اللجان التي شكلت لمعالجة أراضي الجنوب المنهوبة. لكن عمليات النهب لم تزل تتصدر الأحداث وآخرها ما حدث قبل قرابة الثلاثة أشهر من قيام أفراد وضباط يتبعون لواء عسكريا بالهجوم على مبنى محافظة الحديدة لمنعها إياهم من السيطرة على أراض يدعون أنه تم صرفها لهم من قيادات عسكرية سابقة.

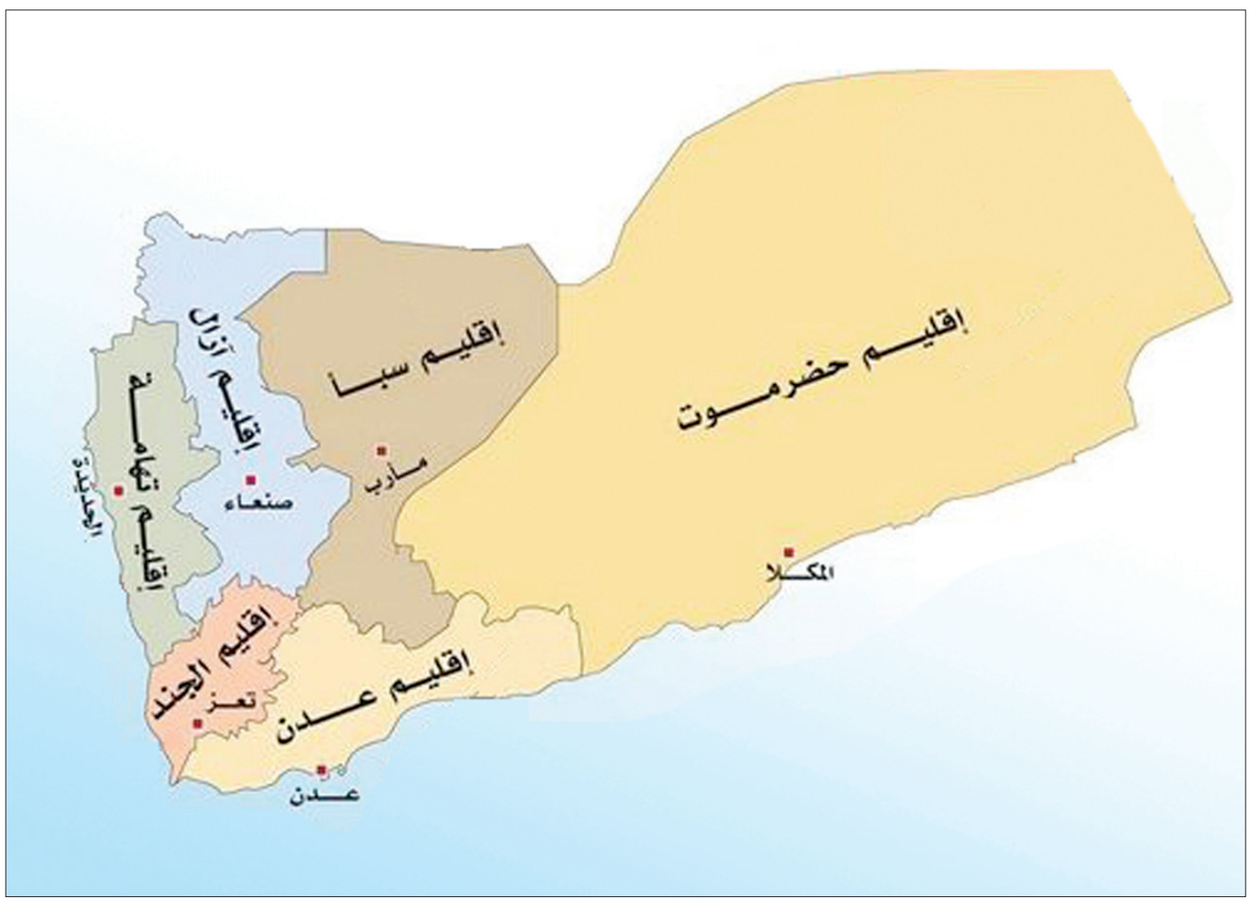

أقاليم اليمن

كل شيء يمر بتهامة

تهامة نافذة الخير والشر في آن واحد كإقليم مفتوح على العالم بحريا. فكما يستقبل الميناء معظم واردات البلاد، فهو يستقبل المرحّلين من السعودية بمئات الآلاف، ويستقبل الأسلحة والمخدرات التي تقصد السوق المحلية، وتعبر الحدود الشمالية إلى السعودية، وسبق أن دخل منه المماليك والأتراك كغزاة، ودخل منه أوائل المستشرقين الأوروبيين إلى بلاد «العربية السعيدة»، وقبل ذلك بزمن، في القرن السادس الميلادي، خاض الملك الحميري يوسف ذو نواس عباب بحره على ظهر حصانه، منتحرا لعار الهزيمة التي لحقته من الغزاة الأحباش. أما من جهة الشمال، فقد عبرته جيوش الملك عبد العزيز آل سعود في حربه مع اليمن (1934)، ولم تنسحب إلا بالتوازي مع انسحاب جيوش الإمام يحيى من نجران، وكان مسرحا لإحدى حروب الحوثيين والسلفيين وحلفائهم قبل أشهر في مدينة حرض.

يعد سكان المناطق المحاذية للبحر من تهامة، من أفقر سكان اليمن، وليس من المبالغة القول بأن محافظة كالحديدة هي عاصمة البؤس والفقر في اليمن، ويتسلط على سكانها عدد من المشايخ الموالين للسلطة، يمتلكون سجونا خاصة لمعاقبة أي خارج عن طاعتهم، بل ويقومون بالتعذيب الوحشي لهؤلاء دون تدخل السلطات المحلية. وهكذا يلجأ التهاميون للتسول بشكل كبير، بل ويتم تهريب عدد كبير من أطفالهم إلى السعودية للغرض ذاته، بالإضافة إلى كون تهامة معبرا لمتسللي القرن الأفريقي الذين يقصدون السعودية.

سمك وخير كثيران

آلاف التهاميين يعيشون على صيد الأسماك. والأراضي التهامية تنتج معظم المحاصيل والفواكه، تصدر أغلبها لمصلحة شخصيات نافذة إلى الخارج والداخل، ما شكل مصدر نقمة ضد القادمين من المرتفعات لنهب أراضي السهول الغربية، استغلها الحراك التهامي في بداياته لإقناع المواطنين بسعيه لرفع الظلم عنهم ومنع نهب أراضيهم. وأغرب قصة نهب وتزوير حدثت لأرض زراعية تمت في شمال غرب تهامة المحاذية للحدود السعودية حيث بيع 100 كلم مربع من أراضي المنطقة المتاخمة لحدود المملكة لمواطن سعودي بطرق غير شرعية بالطبع، ولم تزل محاكمة المتورطين في القضية مستمرة.

وعلى إغراق تهامة الأسواق المحلية بالأسماك واللحوم.. فهي مصدر الفل التهامي المزين بزهور (والمسمى «الزنط الحيسي» نسبة إلى منطقة زراعتها) ويضرب به المثل يمنيا على دلال وغنج الجميلات بالقول: «زنط حيسي»، أي تمنّع قائم على إدراكهن مقدار الجمال الطبيعي الذي يمتلكنه. وفي الوقت ذاته تمد تهامة اليمن بأرقى أدبيات النشيد الديني الذي يردد في أرجاء البلاد كما هو حال القصائد المحمدية لعبد الرحيم البرعي. ويمتلك أبناؤها تسامحا فكريا نادر المثال، وتراثا ثريا بشقيه الشفهي والمكتوب.

إقليم جاذب

هذه الميزات تجذب المشاعر والتطلعات، حيث ما زال قرابة مليون مواطن من وصاب وعتمة (مناطق متاخمة لتهامة ومتجانسة معها كليا) يطالبون بضمهم لهذا الإقليم بدلا عن آزال البعيد عنهم جغرافيا وثقافيا وتاريخيا والذي ضمهم إليه التوزيع الحالي للأقاليم. وإن نجحت فعالياتهم المطلبية، فسيكون هذا الإقليم أكبر الأقاليم من حيث عدد السكان، وربما كان أثراه في الإنتاج الاقتصادي أيضا، فهو أيضاً مصدر أكبر الموارد الضريبية والجمركية للبلاد، ويضم عددا من أكبر المصانع والشركات، ويمتلك مقومات سياحية متنوعة وثرية للغاية، طبيعية وتاريخية. لذلك، فإن نجحت عملية الأقلمة على الأرض، فقد يتحول إلى واحد من أغنى الأقاليم ليس بثرواته الطبيعية وحدها، وإنما ببيئته الإنتاجية والثروة البشرية الهائلة لديه والمتلئة بثقافة تاريخية عريقة تقدس العلم والعمل.

الثروة السكانية الكثيفة لتهامة (كإقليم) تتركز في جبال ريمة والمحويت وهما محافظتان كثيفتان سكانيا. وعلى الرغم من وعورة جغرافيتهما وارتفاع جبالها، إلا أنهما تتمتعان بالخضرة والجمال، وتعدان مراكز جذب سياحي داخلي هام. وأما زبيد التاريخية، فهي مسجلة على قائمة التراث العالمي لمنظمة اليونسكو وهي جاذب للسياحة الثقافية والتاريخية باعتبارها أول مركز لدولة مستقلة عن الخلافة العباسية في اليمن (الدولة الزيادية)، ما جعل السيطرة عليها لاحقا مصدرا لشرعية أي دولة تحكم اليمن، بما فيها تلك التي نشأت في صنعاء أو تعز.

أما الحديدة المدينة كعاصمة للإقليم، فهي واحدة من أوسع مدن اليمن وأعرقها في الأخلاق المدنية والانفتاح على الآخر. وإجمالا، فإن هذا الإقليم متخلف إلى حد بعيد من أعباء السلوك القبلي المتمثل في الحرص على امتلاك وحمل السلاح، وقطع الطرق العامة للتعبير عن المطالب أو لرفض الإجراءات التي تقوم بها السلطة.. وبالتالي فهاجس الزوار الأمني هنا هو أقل منه في أي إقليم آخر باستثناء ربما إقليم الجند.

وغربا، يمتد ساحل تهامة على معظم المناطق اليمنية المطلة على البحر الأحمر، ليترك جزءا بسيطا الى جنوبه لإقليم الجند. وعبر هذا الامتداد، تستلقي بعض من أجمل مدن اليمن الساحلية كالخوخة. وفي الأعماق تنتشر مئات الجزر الكبيرة والصغيرة، وأبرزها جزيرة كمران ذات المقومات السياحية الاستثنائية التي لم تستغل بعد... وعلى الرغم من اعتبار هذا الامتداد أحد مصادر الخطر، كمنفذ للمهربين المحليين والدوليين، إلا أن تأمينه بشكل جاد كفيل بتحويله إلى مصدر سعادة وأمن اقتصادي.

يمكن القول باختصار إن إقليم تهامة هو واحد من أهم وأثرى أقاليم اليمن، إن تركته مراكز القوى في الأقاليم الأخرى بعيدا عن صراعاتها السياسية، وإن حصل أبناؤه على فرصهم المستحقة في استثمار ثروات إقليمهم، والعيش بما يؤمنون به من قيم التسامح والتعدد المثمر الذي يستوعب الكل دون الحاجة لصراع من أجل إثبات حق، أو إقصاء مستحق، لينعم هؤلاء بهدوء البحر ويقظة الجبل وما بينهما من تناغم وتكامل وقوة.

فارع المسلمي

باحث من اليمن

مواقع / إصدارات

«مدى مصر».. صحافة مستقلة

في أعلى الصفحة الرئيسية لموقع «مدى مصر» الالكتروني، جملة وحيدة قصيرة: «صحافة مستقلة متحررة». لا معلومات أخرى تعرّف بالموقع ولا بالمسؤولين عنه. بالمقابل يجد الزائر ما يلفت نظره في المواد الصحافية ومقالات الرأي والرسوم الكاريكاتورية.

نشأت «مدى مصر» بعد ترك لينا عطا الله رئاسة تحرير «ايجيبت اندبندنت» (الطبعة الانكليزية من «المصري اليوم»)، هرباً من التضييق والضغط، فأسسته مع مجموعة من الصحافيين الذين استقطبوا أقلاماً مصرية شبابية للكتابة والرسم. وفي صفحتهم الخاصة على فايسبوك يعرّفون عن أنفسهم بكلمتين إضافيتين: «مدى مصر يسعى لممارسة الصحافة المستقلة والمهنية بذكاء وعمق».

حرب غزة هي حالياً واحدة من أبرز القضايا التي تتناولها مقالات الموقع. شادي زلط اختار البحث عن أسباب غياب التضامن المصري مع الفلسطينيين. الكاتب شريف الموسى تساءل عمّا يمكن أن تفعله مصر للفلسطينيين. وبعد النقاش على أكثر من محور، خلُص إلى ضرورة اشتغال مصر على سياسة بديلة ترفع عبء الحصار عن غزة من خلال زيادة الضغط على إسرائيل لفتح حدود القطاع على العالم.

كثيرٌ من عناوين الموقع لآخر أخبار الناشطين في السجون. مصطفى يحيى كتب عن أبرز اللقطات من جلسة تخفيف الحكم عن ماهينور المصري (خفض الحكم إلى ستة أشهر بدلا من سنتين). مع بداية هذا العام، وبعد ستة أشهر على تأسيس الموقع، كتبت لينا عطا لله: « لنبدأ بالسؤال عن حقيقة ما نفعله أكثر من مجرد الطفو على السطح «. وجدير بالتذكير أن الموقع نشر في وقته نص الكاتب والسيناريست بلال فضل «الماريشال السياسي» الذي منع من النشر في «الشروق». وهناك نصوص عن «قصور مبارك» وعن «عجز الموازنة» وعن التحرش الجنسي»...

هيكل الموقع بسيط وسهل التصفّح. سبعة عناوين في التبويب تعكس غناه: أخبار، سياسة، اقتصاد، بيئة، ثقافة، مجتمع ورأي... بينما يتربّع في الصفحة الرئيسية مجموعة اختيارات من كل صفحة.

تميل مواد «مدى مصر» إلى مقالات الرأي أكثر منها إلى النصوص الصحافية بأنواعها المختلفة، كما تتركّز المواضيع حول مصر.

والموقع متوفر باللغتين العربية والانكليزية.

وفي شهر نيسان/ابريل من العام 2014، أطلق الموقع «مرصد مدى الصباحي» الذي يقدّم خدماته باشتراك مدفوع، يقرأ يوميا الصحف الصادرة باللغة العربية في مصر، مع التركيز على شكل التغطية للأحداث الكبيرة في الصحافة المحلية.

تصل النشرة إلى البريد الالكتروني للمشترك عند الحادية عشرة من صباح الاثنين وحتى الخميس. لا تتساوى جميع الأقسام كمياً. فقسم «البيئة» مثلا لا يحمل سوى أربعة مقالات وذلك منذ نشأة «مدى مصر». يتولى محمد قنديل رسم الكاريكاتور. في آخر رسوماته، امرأة بجسد ممتلئ تجلس على كنبة، هاتفها وعلبة حلوى بين يديها، وتقول «توتة.. تعالي يا بابا إعمليلي لايك لصورة غزة دي، صوابعي ملزقة مطرح الجُلاش».

http://www.madamasr.com/ar

فكرة

الإعلام المصري ليس الشارع

اللقطة الأولى: يخرج الإعلامي توفيق عكاشة على قناته الخاصة «الفراعين»، وعلى طريقة «خروتشيف» يخلع حذاءه على الهواء ويبدأ بشتم غزة وحماس. «غزة مين وزفت مين»، هي ألطف العبارات التي تفوه بها وبطريقة بهلوانية تعقيباً على ما يجري هناك. يعلن معارضته للسيسي بشجاعة! ويرفض المساعدات الإنسانية التي أرسلتها السلطة باسم الشعب المصري، محاججاً بأن المصريين أولى بها.. يتضح في ما بعد أن المساعدات غير صالحة وفاسدة. المذيعة التي تعمل في قناته وتستضيفه، تقول له: «والله إحنا كلنا معك يا دكتور، الشعب المصري كله معك».

اللقطة الثانية: أحمد موسى مذيع في قناة «البلد» المصرية، يدعو إلى تعاون الجيش المصري مع الجيش الإسرائيلي للقضاء على حماس ويدعو إلى قصف غزة.

اللقطة الثالثة: المذيع إبراهيم عيسى على قناة «أون تي في»: حماس تتحمل كامل المسؤولية لما يحصل في غزة، وإسرائيل تدافع عن نفسها. وفي مقلب آخر، تغرد عزة سامي، نائب رئيس تحرير صحيفة «الأهرام»، «كتر خيرك يا نتانياهو، ربنا يكتر من أمثالك».

هذا بعض من الكلام الذي قيل على قنوات مصرية عديدة فيما العدوان على غزة مستعر. بلا تعليق... للكلام سياقه السياسي الذي يتلخص بمعادلة ساذجة تعمل سلطة السيسي على ترسيخها لدى المصريين: الإخوان المسلمون عدو، إذا حماس عدو، فلتُذبح غزة التي تسيطر عليها حماس. السياق إذا هو انقلاب 3 يوليو. وصل الأمر إلى وقوف أحد الشيوخ في ميدان التحرير مُحلاً دم كل من يثبت أنه مؤيد لحماس. في السابق، كان لهؤلاء المذيعين ولهذه الحملات على أنواعها، «دواء» اسمه باسم يوسف. فخلال ساعة في الأسبوع كان يفضح نفاقهم من دون اضطرار حتى لتقديم موقف سياسي، فكل ما كان يقوم به هو سحب الأرشيف الخاص بهم، ويقدم للناس كيف يناقضون أنفسهم. أوقف برنامج باسم يوسف. وخلت الواجهة الإعلامية لهؤلاء، من جديد وبزخم أكبر.

عملت السلطة الجديدة على محو كل تطور تمكنت ثورة 25 يناير من تحقيقه على الصعيد الإعلامي. انكفأ الخطاب غير التابع للسلطة والمعارض، وعاد من حيث انطلق، إلى الفضاء الاجتماعي والى المقاومة، الى المواقع والمدونات، والى إنتاج الأفلام القصيرة على يوتيوب. ومع هذا الانكفاء، بدا وكأن المزاج المصري تبدل.. والدليل: شاهدوا ما تبثه القنوات المصرية. إلى حد أنه بدأت التحليلات تتناول الشعارات التي أطلقت في ميدان التحرير: «علقدس رايحين، شهداء بالملايين»، وبأنها لم تكن سوى شعارات إخوانية للتوظيف السياسي.

قبل أيام، انطلقت قافلة مساعدات إلى غزة نظّمها ناشطون مصريون مستقلون. وصلت إلى معبر غزة ومُنعت، وهُدد الناشطون بالاعتقال من قبل حرس الحدود المصرية إذا لم يتراجعوا. بدا الخبر هزيلاً أمام الهجوم «المتلفز»، الذي نجح في البقاء مهيمنا وكأنه المعيار لحال الشارع المصري. ولكن مصر ليست هؤلاء، ولو أنهم يحتلون واجهة المسرح ويطغون.

آدم شمس الدين

عن المفكرة القانونية

مشروع قانون العنف ضد النساء في المغرب

القانون المتعلق بمحاربة العنف ضد النساء سيقر قريباً في المغرب. وهو جاء نتيجة لتنامي تلك الظاهرة، وكان مطلباً ملحاً من الحركة النسائية. فعلى الرغم من التعديلات الكثيرة التي مست القانون الجنائي، إلا أنها لم تتمكن من تحقيق معالجة نوعية للجرائم التي تستهدف النساء حصراً. يقدم الكاتب أبرز مميزات القانون الجديد ثم قراءة نقدية للسلبيات التي يتضمنها.

من الميزات أن القانون يحدد الإطار المفاهيمي لعدد من المصطلحات الواردة في نص التعديل ويقدم تعريفات متقدمة للعنف ضد النساء، تشمل العنف «الجسدي، النفسي، الجنسي، الاقتصادي».

كما أنه يجرم أفعالا وتصرفات ظلت حتى الآن خارج دائرة التجريم، كإكراه أو إجبار امرأة على الزواج، مع تشديد العقوبة في حال مصاحبة ذلك بعنف جسدي، وكالمساس بجسد المرأة من خلال كل تسجيل بالصوت أو الصورة، أو أي فعل جنسي بطبيعته، أو بحكم غرضه، يترتب عليه تشهير أو إساءة لها، مع تشديد العقوبة إذا ارتُكبت الجريمة من طرف الزوج أو أحد الأصول أو الكافل أو شخص له ولاية أو سلطة أو رعاية على الضحية. وتم في السياق نفسه تجريم السرقة وخيانة الأمانة والنصب بين الزوجين.

يقدم القانون إطاراً قانونيا ينظم عمل خلايا التكفل بضحايا العنف من النساء والأطفال، وضمان الخدمات الصحية والإدارية لهم، وذلك بشكل مجاني، ويكفل تواجدهم في كل المحاكم الابتدائية التي تشكل نقطة الاتصال الأولى بين القضاء والضحايا. وهو يضع مجموعة من تدابير الحماية الجديدة للنساء المعنفات ومنها: إبعاد الزوج موقتا عن بيت الزوجية مع إرجاع الزوجة إليه، إحالة الضحية وأطفالها على مراكز استقبال النساء وإيوائهن في حالة العنف الزوجي، وتجريده من السلاح إذا كان من حامليه، في حال استعماله في التهديد.

أما في ما يتعلق بالمؤشرات السلبية للقانون، فيشرح الكاتب انه من حيث الشكل يتحدث العنوان عن مشروع قانون يتعلق بمحاربة العنف ضد النساء، ألا أن المضمون يشمل أيضاً العنف بين النساء والأطفال ما يعكس استمراراً للصورة النمطية التي تربط قضايا المرأة بقضايا الأطفال، بالإضافة إلى تضمن القانون نصوصاً تتعلق بالكافل والأزواج، ما يوحي بأن القانون يهدف الى تناول العنف الأسري بصفة عامة بدلاً من العنف ضد المرأة حصراً. كما أن فلسفة القانون لا تزال عالقة في القانون الجنائي الذي وضع في 1961، فعلى الرغم من التعديلات التي أدخلت عليه، لا يزال يُدرج جريمة الاغتصاب وهتك العرض ضمن الجرائم المتعلقة بانتهاك الآداب والأخلاق، وإدراج جريمة التمييز بسبب الجنس ضمن جرائم إفساد الشباب، والبغاء التي تم تغيير تسميتها إلى «الاستغلال الجنسي وإفساد الشباب».

أما على مستوى المضمون، فيعتبر الكاتب أن مذكرة التقديم، غُيبت عنها أي إشارة إلى الجهود المتراكمة للحركة النسائية المناهضة للعنف ضد المرأة، وللمجتمع المدني، والحركة الحقوقية الوطنية، واستُبدلت بكلام يوحي بأن هذا القانون أنجز بفضل الجهود الحكومية والوزارات. كما أن المشروع يغفل تجريم الاغتصاب بين الزوجين، والمطالب المتعلقة بمراجعة المقتضيات الخاصة بالإجهاض، وتجريم زواج القاصرات دون الحصول على إذن قضائي، خاصة أن المشروع عاقب على الإكراه في الزواج... يختم كاتب المقال بالتشديد على أهمية وخطورة التعامل الإعلامي مع مشروع القانون هذا، الذي يفتقد إلى الكثير من المهنية والموضوعية والذي سطّح النقاش واختزله في نقطة التحرش الجنسي، وتقديمه أحياناً بصورة كاريكاتورية تهكمية.

أنس سعدون

11 تموز/ يوليو 2014 (المفكرة القانونية)
http://www.legal-agenda.com/article.php?id=793&lang=ar

العربي السفير

24 تموز 2014 ـ العدد 12830

Thursday July 24, 2014

قضية

90 مليون دولار هي الخسائر في البورصة الإسرائيلية منذ بدء العدوان على غزة، وفقاً لمكتب الإحصاء المركزي الإسرائيلي، الذي أعلن أن 250 مصنعاً وقرابة 500 مزرعة إسرائيلية أغلقت بالكامل. وتتوقع صحيفة هآرتس أن الخسائر السياحية تتجاوز 500 مليون دولار، فضلاً عن تراجع التجارة الداخلية في إسرائيل بنسبة 40 في المئة.

النموذج الإسلامي المغربي قابل للتصدير؟

(من الانترنت)

في نهاية حزيران / يونيو 2014، خرج فيديو من القصر الملكي لولي العهد المغربي، يصلي ويسلم على النبي ويرتل القرآن الكريم ثم يقدم مشهداً من مسرحية مع شقيقته أمام الملك محمد السادس. وفي بداية رمضان، شرع الملك في ترؤس الدروس الحسنَية وفيها يبدأ كلامه ويختمه بالصلاة على النبي. ليس لوزارة الداخلية المغربية أي مشكلة مع هذا، بينما وزارة الداخلية المصرية متورطة مع ملصق «هل صليت اليوم على النبي؟».

إستراتيجية «الديبلوماسية الدينية»

في الدروس الحسنية التي أنشأها الحسن الثاني منذ ستينيات القرن الماضي، يتم تدارس مشاكل الدين من قبل مختصين في الدين والدنيا. وبعد كل درس، يتقدم العلماء الدعوون من كل بقاع العالم، من أندونيسيا ونيجيريا والسودان... للسلام على أمير المؤمنين. لذلك صارت للمغرب جاذبية دينية، وهو البلد الذي كان يشاع عنه أنه لا يعرف الإسلام الصحيح. وتأكيدا لهذه الجاذبية، أعلن موقع وزارة الأوقاف عن توقيع اتفاق بعاصمة مالي في أيلول / سبتمبر 2013، سيتولى المغرب بموجبه تدريب 500 إمام مالي على مدى عامين. ولاحقا وصل الفوج الأول منهم إلى مطار محمد الخامس الدولي بالدار البيضاء على متن طائرة تابعة للخطوط الجوية الملكية.

وأكد بلاغ وزارة الأوقاف أنه «تقتضي التعليمات السامية لصاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله أن توفّر للأئمة الماليين الظروف المادية والمعنوية الملائمة لتكوين جدي مريح...». فبعد الطائرة، تم إيواؤهم في حي الرياض، أرقى حي في العاصمة المغربية الرباط. وقد أمر الملك ببناء مركز للتكوين في فاس – عاصمة الزاوية التيجانية – ليكون مقرا للتكوينات من هذا النوع. وهذا دليل على تبلور خطة طويلة الأمد . وفي أيار / ماي 2014 قال موقع الوزارة «تفضل أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس بالموافقة المولوية السامية على طلب المجلس الإسلامي النيجيري وهيئة الإفتاء بنيجيريا والمتعلق بتكوين أئمة من نيجيريا بالمملكة المغربية».

وبعد مالي وغينيا وليبيا ونيجيريا، جاء العرض المغربي لتونس بتكوين مئة إمام خلال زيارة الملك في مطلع حزيران / يونيو 2014، وأعلن موقع وزارة الأوقاف تكفل الملك بمصاريف تكوين 100 واعظ واطار ديني تونسي للدراسة طيلة سنة كاملة».

أكيد بعدها لن يرفض أي من هؤلاء إقامة صلاة الجنازة على أي جندي تونسي يقتله الإرهابيون كما يحصل الآن. هذا ما سماه وزير الأوقاف إستراتيجية الديبلوماسية الدينية. ومن ضمنها تكوين الأئمة في عدد من الدول الإفريقية والعربية.

هكذا يكافح المغرب التطرف في موقع ولادته. وهذا نهج وزارة الفلاحة المغربية أيضا. فعندما يظهر الجراد بدول جنوب الصحراء، يرسل المغرب طائراته لرش المبيدات هناك. لا ينتظر وزير الفلاحة وصول الجراد للحقول المغربية. لهذه الديبلوماسية نتائج طيبة، كالإشادة بالمكانة الروحية المتميزة للعاهل المغربي الملك محمد السادس، سليل النبي. ومن النتائج غير الطيبة، كتبت جريدة الشروق الجزائرية «المخزن يكوّن الأئمة الماليين ضد الجزائر». ولتدعيم ذلك أوردت الجريدة قول المختص بالإسلامولوجيا المغربي إدريس الكنبوري: إن إستراتيجية وزارة الأوقاف «يراد من ورائها الرد على الدولة الجزائرية التي لا تكف عن مناكفة المغرب في الشأن الديني، سواء في أوروبا، وخاصة فرنسا حيث مسجد باريس، أم في إفريقيا حيث للبلدين معا مصالح متناقضة».

إن الحرب الإعلامية على أشدها بين المغرب والجزائر. وطبعا لن يكون عشق الجزائر وانفصاليي البوليساريو ضمن الدروس التي سيتلقاها الأئمة بالرباط... وعلى الرغم من الحرب وضعف التمويل، مقارنة بالجارة البترولية، فالنموذج الديني المغربي يتقدم. وقد ذكرت جريدة الشروق أونلاين الجزائرية أن وزير الداخلية الفرنسي رفض تعيين أئمة جزائريين في فرنسا. والسبب – حسب مانويل فالس الذي صار وزيرا أولا – هو كون الأئمة القادمين من الخارج يمثلون خطرا على البلاد. لكن يبدو أنه مرحّب بهم حين يأتون من المغرب. والدليل أنه من فرط الثقة ذهب الأمين العام لرابطة علماء المغرب ببذلة وربطة عنق إلى باريس لشرح النموذج الديني المغربي الذي يؤلف بين التقاليد والانفتاح.

ما هو النموذج المغربي؟

هنا بعض ملامحه، لأن جلها سيجعل المقال أطول وقراء اليوم مستعجلون للحصول على لب الموضوع.

أولا، مجّد الملك الحسن الثاني الاعتدال المغربي في مواجهة التطرف والغلو، وافتخر بالاستثناء المغربي قائلا «نحن في المغرب نمتاز، ليس فحسب بكوننا قد ورثنا التقاليد الإسلامية عن المشرق، بل لكوننا أيضا ننهل من معين التراث الأندلسي المتميز الذي يتسم بانفتاح كبير»، وأكد أن المغرب صلة وصل بين الحضارات، وأضاف أن المذهب المالكي جزء من الهوية المغربية. وأكد أن ليس من مهام الدولة أن تعدم المرتد لأن ذلك من «شأن المرء مع نفسه» وأن الحجاب ليس ضرورة من ضرورات الحياء، بل ورفض أن يُتخذ الحجاب ذريعة لانعدام التسامح وذكّر بقول أحد المتصوفة «الحجاب مبعث كبر وتعال» (من كتاب «عبقرية الاعتدال» حوار مع الصحفي الفرنسي إريك لوران).

الملمح الثاني حصل في 13 حزيران / يونيو 2014 في الرباط حين ترأس الملك محمد السادس مراسيم حفل تقديم «خطة الدعم» للتأطير الديني على الصعيد المحلي. وسيضم هذا التأطير تكوين 1300 إمام مرشد حاصلين على شهادة الإجازة ويحفظون القرآن كاملا وتلقوا تكوينا شرعيا تكميليا. وسيوزعون على أقاليم المملكة السبعين ووظيفتهم هي مساعدة الأئمة وتحصين المساجد من أي استغلال وحماية ثوابت الأمة.

الملمح الثالث: قال وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية إن الأمور ـ يقصد التعاطي مع موضوع المثليين الجنسيين ـ تدبر أساسا بالحكمة والموعظة الحسنة... وقد حكمت محكمة في المغرب بروج رياضية على مثليين بعشرة أشهر حبسا. فالجنس حرية أيضا.

الملمح الرابع أن خصوم إمارة المؤمنين صاروا يفكرون لها. إنه إنجاز كبير أن يفكر السلفي والصوفي واليساري للمؤسسة الدينية الرسمية لأنها ملاذهم من الاقتتال.

أما عن سؤال: هل ستنجح المؤسسة الدينية الرسمية؟ فيقول عبد الوهّاب رفيقي القيادي السلفي المغربي الذي قضى عشر سنوات في السجن، والمشهور بأبي حفص، وخرج بعفو ملكي «إن الخطاب الديني التقليدي يشكّل هوة بين العلماء والشعوب». وقد سجل أن النشطاء الدينيون «يسيطرون على الساحة بينما انعزل العلماء». من جهته، تمنى محمد الفيزازي أن يؤم الملك، فتوجه الملك إلى مسجده في طنجة وصلى واستمع لخطبة القيادي السلفي الذي قضى عشر سنوات في السجن. لقد تصالحت إمارة المؤمنين مع السلفية.

من جهته انتقد قيادي منشق عن جماعة «العدل والإحسان» العلماء ودعاهم لعدم التقاعس في مهامهم. يطالبهم بالقيام بدورهم، أي لم يعد يرى في جماعته الضخمة المتجمدة بديلا عمن سماهم عبد السلام ياسين «فقهاء السلطان».

الملمح الخامس هو شخص وزير الأوقاف المغربي، وهو مثقف كبير (وأنا معجب به جدا). فأحمد التوفيق وزير متصوف وليس إخوانيا مثل سابقه. وهو مؤرخ وروائي، يجمع بين معرفة الماضي والتخييل واستقراء الوقائع، يقدم تنظيرا من مستوى عال حول مهامه. ووزارته ذراع سياسي للمغرب. موقع الوزارة (www.habous.gov.ma) بمثابة وكالة أنباء دينية نشطة جدا مقارنة بمواقع باقي الوزارات. وقد قدم الوزير في بداية رمضان الدرس الأول من الدروس الحسنية أمام الملك وعنوان الدرس هو «حماية الملة والدين وآلياتها في المملكة المغربية»، أي حماية الدين والنفس والعقل والمال والعرض. كل شيء إذن في حمى أمير المؤمنين.

كيف؟

أجاب وزير الأوقاف: أول الآليات هو الدفاع عن الأرض، وشرح: «حيث إن الأرض أول مقوّمات حياة الدين، والدفاع عنها بالجيش أعظم الجهاد، وآلية حفظ الدين بحفظ النفس، إذ يعتبر حفظ حياة الإنسان من القتل والعدوان، أبرز الشروط وأقدسها من منظور حماية الدين، وآلية حفظ الدين بحفظ العقل، حيث أنه إذا كانت الحرية ضرورية لمنطق الدين، فإن العقل ضروري لقيام الحرية».

الملك وجيشه هم المجاهدون. وبالتالي منع خصومه من امتلاك الصفة. ثاني الآليات هي حفظ الدين بالتعليم، ثالثها حفظ الدين بالشورى، رابعها حماية الدين بتنظيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فليس بإمكان أي كان القيام بهذا الأمر. وأخيرا حماية الدين بآلية حسن التساكن مع العالم. فالمغرب يتجنب الدخول في نزاعات. فحتى حين أفتى يوسف القرضاوي بجواز القروض الربوية للمغاربة لشراء المنازل لانعدام القروض الإسلامية تجاهل علماء المغرب الفتوى.

واستنتج الوزير المحاضر أن حماية الملك للدين، تترتب عليه عدم مشروعية أي برنامج ديني منافس خارج الثوابت، وعدم مشروعية أي برنامج سياسي يقحم الدين في بعدي التبليغ والتأطير الدعوي والخدماتي. فوحدها إمارة المؤمنين حجة في هذا الشأن.

هكذا ختم الوزير درسه الديني السياسي أمام الملك وأمام نخبة من علماء الأمة، وخاصة القادمين من جنوب الصحراء.

إلى أين سيؤدي كل هذا؟

سيعزز الامتداد الديني الصوفي الامتداد الجغرافي للمغرب في صحرائه. مرحبا بكل ما يعزز الوحدة الترابية للمغرب. لا يرجع نجاح النموذج المغربي لمهارات تدبيرية فقط، بل لسياق تاريخي أيضا. فهناك تجانس ديني صنعته دولة مركزية عبر التاريخ، وهناك وعي شديد ومبكر بأهمية دور الدين، لذا لم يترك الملوك والوزراء المجال للفقهاء ليفعلوا ما يحلوا لهم.

موقفي كيساري منفصل عن منطلقاتي الفكرية. فانا سعيد وأبارك هذا. حتى الإخواني المغربي الذي يعتبر التصوف بدعة وضلالة ويحلم بهدم أضرحة الأولياء يبارك. اللهم بارك.

ما اسم هذا؟ نفسيا وفكريا اسمه فصام أو سكيزوفرينيا. وسياسيا اسمه عبادة الدولة القومية في كل ما تفعله لحماية مصالحها.

محمد بنعزيز

كاتب وسينمائي من المغرب

البناء المخالف في مصر .. العشوائية تُركِع القانون!

يبدو أن هناك تعديلات وشيكة لقانون البناء رقم 119 لسنة 2008، بهدف تقنين التعامل مع البنايات المخالفة، التي تفاقمت على إثر ثورة الشعب المصري في كانون الثاني/يناير 2011. تباينت تفاصيل التعديلات المزمع إجراؤها مع تباين المصادر الناقلة للخبر، وإن اتفقت جميعها على وجود نية للتصالح مع المخالفات البنائية بشرط سلامتها الإنشائية مقابل توقيع غرامات مالية على المخالفين كثمن للمصالحة. وبغض النظر عن الجدل القائم حول قبول أو رفض فكرة المصالحة بذاتها، مع ما تحمله ضمناً من تركيع للقانون، فإن جدلاً موازياً قد انطلق: من الذي يدفع؟ الجاني أم الضحية؟ ثم ما مدى اهتمام مشرّعي القوانين بتوقيع العقوبة على مستحقّيها؟

استحالة القانون

لم يفلح النص الحالي «غير المعدّل» للقانون في درء المخالفات ولا الحدّ منها، ولطالما كان سندا تأسست عليه في معظمها. والمراقب عموماً يلاحظ أن الداء ليس وليد لحظة الانحسار الأمني الذي أعقب الثورة، بل تلك كانت لحظة لتمكّنه واشتداد عوده الذي كشف عن عضال الداء وغوره.

فكلما زادت المخالفات البنائية اتّكأ جديدها على القديم. و بدت المعدّات المتوفرة للهدم شحيحة أمام تصاعد أعداد البنايات المخالفة. ففي الإسكندرية وحدها بلغت جملة المباني المخالفة 19493 مبنى، وفقاً لما سجلته دراسة حديثة (2013) لمركز المعلومات التابع لمديرية الإسكان والتعمير. وكانت الإسكندرية صاحبة النصيب الأكبر من المخالفات نظراً لخصوصية المدينة كجاذبة للسكان، والمؤشر لم يثبت بعد على رقم، لأنّ الأعداد في تزايد جامح! وبكل لحظة يُرمى فيها أساس جديد لبناية جديدة، يتأكّد بأن الأمر ما زال خارج نطاق السيطرة.

مصالحة مشروطة

ركع القانون أمام قوة العشوائية على الأرض، وأفصح عن نوايا للمصالحة بالشروط التي خرجت بها المباحثات. أجريت عمليات حذف وإضافة وتعديل على قانون البناء الجديد. اقتصرت نية المصالحة على البنايات السليمة إنشائياً. أمّا تلك المقامة «على أراضي الدولة والمتعديّة على خطوط التنظيم، وكذلك المقامة على أراض زراعية وغير الآمنة إنشائياً» فتمّ الاتفاق على وجوب إزالتها.

وعن شروط المصالحة في البنايات السليمة انشائيا، وبغض النظر عن المرارة التي يتجرعها المواطن المصري للحصول على وحدة سكنية، ولو كانت مخالفة، فقد استحق توقيع غرامة مالية عليه تفاوتت (حسب المصدر) بين ضعف وضعفي قيمة الوحدة المخالفة نفسها (وهذا على الرغم من سلامتها الإنشائية!)، فيما الشارع هو مصير المواطنين الذين اتخذوا من بنايات القسم الثاني («الواجب إزالتها») مساكن لهم. هؤلاء لا نيّة لإجراء تسويات معهم، حيث أن «القانون الجديد» فوق الجميع ولا يحمي المغفلين! بيّن هذا المنحى أن «توقيع العقوبة على غير مستحقيها» هو ما حسم به موضوع الجدل حول هذا المجال الثاني!

دورة المسؤولية

يجري تداول مسؤولية البنايات المخالفة كما يتمّ تداول لعبة ورق، حتى تتلبسها في الآخر يد الخاسر الذي تطبق عليه الأحكام. وفي لعبة البناء هذه، فالخاسر هو المواطن الذي لا يخضع للأحكام سواه.

يتحمل مقاول البناء وزر المخالفة في مهدها ثم سرعان ما يدفعها نحو موظف تعطيل المصالح ومعوّق استخراج الرخص. يدفع المقاول الرشوة لإنهاء حاجته، وبهذه الرخصة أو من دونها، يبدأ البناء الذي ينقل المسؤولية لمهندس الإشراف الذي، بالرشوى أيضاً، يتغافل عن فنيّات البناء وحدود الترخيص. وعلى المنوال نفسه، تنسحب المسؤولية نحو مهندس التفتيش الذي يتوانى عن إصدار قرار إزالة البناء في مهده. وحتّى لو حصل قرار الإزالة، فهو سيصل إلى يد المحافظ للاعتماد، ثم يُدفع به نحو وزارة الداخلية التي تتباطأ في التنفيذ حتى تتمّ الجناية وتتلبسها الضحية. فكل وقت ضائع يزيد من فرصة إتمام البناء ونقل ملكيّته إلى المواطن، الذي لا تجد أحكام القانون مستقرّاً غيره بدعوى جهله وسذاجته!

إهدار الثروة العقارية بما تحمله من أموال طائلة هو أقلّ ما تهدّد به البنايات المخالفة، فيما تستعر الفاتورة لتصل لاغتيال أرواح بريئة. فقد يكون التعامل الحادّ والقوانين الرادعة مسلكاً محموداً لا غبار عليه، لكن الغبار يتكاثر ليعمي العيون حين تكون الضحية هي وحدها محطّ سلطة القانون وسطوته. ومن هنا، ربما تستمدّ العشوائية المصرية قوتها، فَعَدْلُ بعضِ قضاياها يَغْلِبُ جُورَ القانون.

لهذا لم تنته المباحثات منذ تفجّر الأزمة بعد كانون الثاني / يناير 2011، والمخالفات البنائية لم تتوقف للحظة. تستوجب بديهيّات العدل توجّه التعديلات أولاً نحو تجفيف منبع الداء، عبر توقيع عقوبات مجدية على سلسلة الجناة الحقيقيين، كلٌّ حسب دوره وموقعه، ثم بعد ذلك تقدر غرامات مالية بنسب «ممكنة» على المواطنين ساكني المباني. هذا طبعاً مع إجراء تسويات مع «المواطنين الضحايا» المقرّر إزالة مساكنهم. ربما هذا من شأنه أن يضرب جذوراً لقوة القانون المبتغاة، فالعقاب يستمدّ أثره من عدله أولاً ومدى تناسبه مع الخطأ الواقع ثانيةً.

دراسة حديثة... الحاضر والمستقبل

قدّمت دراسة حديثة مقترحاً للحلّ، راعي التفرقة بين المفروض في الحاضر والمأمول في المستقبل. انطلقت الدراسة من مظلومية المواطن، وأسست في مقدمة طويلة على ضرورة حسم القرارات لتجاوزها، معتبرةً الحفاظ على الثروة العقارية وتحقيق أرباح لشركات الكهرباء والمياه والصرف الصحي أهدافاً عامة لها. وتضمنت اقتراحاً للمصالحة مع البنايات السليمة إنشائيّاً مع تحصيل رسوم سيادية (1 في المئة) من قيمة كل وحدة مخالفة في سبيل إدخال المرافق لها، على أن تسهم المبالغ المجموعة في تحسين شبكة الكهرباء والماء والصرف الصحي.

ولتجنّب تكرار الظاهرة مستقبلاً، اقترحت الدراسة إصدار قانون من مادتين، الأولى: مصادرة ملكية الأرض التي تتم عليها المخالفة البنائية لمصلحة الدولة (على أن يتم ذلك الإجراء في بداية أعمال البناء). وهي ارتأت في هذا سبيلاً للقضاء على ظاهرة «الكَحُول» الذي تسجل باسمه الأراضي زوراً. أمّا المادة الثانية، فهي «إنشاء شرطة متخصصة للمباني المخالفة تكون تبعيتها للمحافظ»، لوقف المخالفات في مهدها.

ولمحت الدراسة ألى ضرورة تشارك العقاب تماماً كمشاركة الجناية. وفي تعليق لمراجع الدراسة ومدير إدارة البحوث في مديرية التنظيم والإدارة بالإسكندرية، سعيد خالد، قال إن «حل الأزمة إداري قبل أن يكون قانوني».

صور خاصة بكاميرا الأزمة

«الكَحُول» واحد من الصور التي كشفتها أزمة البناء في مصر، وهو سبيل مغالبة القانون. «الكَحُول» واجهة للمساءلة في حال الوقوع تحت القانون، وهو شخص لا علاقة له تسجل باسمه العقود وعلى ظهره تلقى أوزار المخالفات. يشتريه المقاول ليفدي به نفسه، حيث يبقى الكحول للعقاب وينطلق المقاول للثراء. ومع الوقت صارت اللفظة هجاء يسبّ به كل «غشيم»، وعلى الرغم من انكشاف السر منذ زمن بعيد، إلا إن القانون دفن رأسه بالرمل راضياً بالمجرم البديل. أمّا الذريعة فهي غياب الدليل المادي ضد المجرم الحقيقي.

والصورة الأهمّ التي كشفتها الأزمة، هي شراء المال لكلّ ما يشتهيه. فبرأس المال يشتري المقاول كل متطلبات بنائه المادية والبشرية، وإن استعلى الضمير أمامه متمنّعاً فقد هُزم حين تعلّق الفقر بذيله يشاغله!

وَاهِمٌ هو من يظن أن الجهل وحده هو سبب آفة «الكحول». ففي اللعبة متعلمون كُثر لم ينفعهم علمهم. الجميع أمام الفقر سواسية، والمال يشتري كل الأشياء وأغلاها، «الضمير» بالمال يُشترى! هكذا تخبرنا الصور.

بسمة فؤاد

طالبة ماجستير في التقنية الحيوية، من مصر

وفومها وعدسها وأرزها

شيء مقرف، يقرفوننا طول الوقت بطلباتهم، الإسرائيليون يقتلونهم. واحنا مالنا. المشكلة الحقيقية في الضغط علينا، يضغطون علينا. وفي الآخر يتهموننا بأننا لا نفتح الحدود، الحدود أمن قومي يا حقير، ويقولون إننا تابعون لإسرائيل. قرف. ومع ذلك لم نبخل عليهم، أرسلنا إليهم فولاً وأرزاً. انظر ماذا فعلوا، قالوا إن الأغذية منتهية الصلاحية، وصوروا صوراً لها والحشرات ترعى فيها. إذن ماذا؟ ترفضون أكل الحشرات؟ ترفضون أكل الحشرات يا حشرات؟ لم تفكروا إطلاقاً في شعورنا بالمهانة من جراء هذا. شعورنا بالغ بالمهانة. أنتم كسرتم قلوبنا.

سنسحقكم. سنشن حرباً عليكم لنجربكم على أكل فولنا، نسيتم؟ نسيتم يا مسلمين، اليهود حنّوا لفومها وعدسها، هذا عن اليهود، وأنتم نسيتم يا مسلمون؟ أين إسلامكم؟ طيب، إليكم القرار التالي: سنشن الحرب عليكم حتى نجبركم، ليس على أكل الفول هذه المرة، ولكن على حبه، وحتى تأكلوا الحشرات عندما نرسلها إليكم المرة القادمة، حتى تحنوا إليه كما حنّ اليهود. فهمتم إذن لماذا نحب إسرائيل ونكرهكم؟

(نص نائل الطوخي ورسم مخلوف)

العربي السفير

متابعات

11 ألف صاروخ أطلقتها المقاومة الفلسطينية على إسرائيل خلال الحروب المختلفة التي شنتها هذه الأخيرة منذ انسحابها من قطاع غزة في 2005. وخلال هذا العدوان الأخير، الذي ما زال مستمراً، أطلقت المقاومة 2060 صاروخا من أنواع مختلفة.

لن يرموا غزّة في البحر

هذه الأيّام عصيبة وغريبة لكنّها، لحسن الحظ، مليئةٌ بالدروس. تأمّلوا في المشهد لثوانٍ فقط ولن يكون بمقدوركم أن تُخطئوا النظر: هذه ليستْ حربُ إسرائيل على غزّة، بل حرب كلّ العرب عليها. خلال الأسبوعين الماضيين، كان من السهل أن نرى كيف تشكّل تحالفٌ إقليميٌ مدعومٌ دوليًا تحت راية وحيدة: كسر غزّة وإخضاعها. كانتْ واحدة من أبلغ المفارقات في هذا التحالف أنّ إسرائيل هذه المرّة لا تتصدّره ولا تقوده ولا تضع خطط عملياّته، بل تكتفي فيه بلعب دور المدفعيّة العمياء الموجهة عن بُعد. في المرّة السابقة، أعلنتْ وزيرة الخارجيّة الإسرائيليّة الحرب علينا من القاهرة. اليوم، لا يحتاجُ الإسرائيليّون لذلك، فوزارة الخارجيّة المصريّة نفسها تنطقُ بأكثر مما تُريده إسرائيل وجنرالاتها. ولأوّل مرّة، لا يكون الإسرائيليّون بحاجة لأن يحمّلوا غزّة المسؤوليّة، فالناطقون باسم الحركة التي قادت النضال الوطني الفلسطيني يتطوّعون بالنيابة عنها ليقولوا لنا بوقاحة شديدة إنّ غزّة يجب أن تدفع الثمن، وإنّ موتها الأخير والكئيب مسؤوليّتها وحدها. أولادُ الوسخة! لأوّل مرّة أيّها الأحبّة يكون القبح أوضح بكثيرٍ من الدم. خلال السنوات السابقة كان كلّ ما يقولهُ محمود عبّاس للعالم: «دعوا حماس عليّ»، ولم نكن نعرف أنّه كان يُريد أن يصل في مُغامرته الجنونيّة إلى هذا الحد. إنّنا نختلف مع «حماس» وننتقدها، في السلطة والمقاومة، وفي وقت السلم ووقت المعركة، لكنّنا نعرف اليوم بأنّ «حماس» هي جزءٌ من حالة أكبر اسمها المُقاومة الفلسطينيّة في غزّة. غزّة التي يعيش سكّانها المليونان في هذه المساحة الضيّقة لا يمكن إلا أن تكون «أهل» المقاومة، لأنّ شوارعها وأزقّتها التي تحتضن أفراحنا وأتراحنا وعيشنا ومعاشنا هي نفسها الشوارع التي تُحفر تحتها الأنفاق، ولأنّ سماءها الوادعة التي تُظلّل أحلامنا الصغيرة والكبيرة هي نفسها التي تفتح مداها الرحب للصواريخ التي تضرب تل أبيب، ولأنّ أسرّة بيوتها هي نفسها الأسرّة التي ينام فيها المقاومون، أخي وأخوك، وصديقي وصديقك... هؤلاء هم أهلنا. من يُريد أن يُخضع المقاومة فإنّه يُخضع غزّة، ومن يُريد أن ينزع سلاح غزّة يحكمُ على كلّ أهلها بالموت. لا مجال لأن نعود بعد هذه الحرب إلى المُربّعات الأولى. لا نُريد لأحدٍ أن يكذب علينا وأن يقول لنا إنّ هناك «وحدة وطنيّة» مُمكنة مع العملاء. لا نُريد لأحدٍ أن يعدنا بالازدهار والاستقرار وهو يتحالف علنا مع عدوّنا. ولا نريد لأحدٍ أن يحجب عنّا الحقيقة الساطعة التي تقول ببساطة بأنّ الذين قبلوا أن يلعبوا خلال عشر سنواتٍ دور شرطي الاحتلال في الضفّة الغربيّة هم أنفسهم العبيد المُستعدّون أن يحققوا بخضوع مُنقطع النظير نبوءة سيّدهم الإسرائيلي وأن يرموا غزّة في البحر!

رامي خريس

باحث اقتصادي من فلسطين

عن خطاب «الشّعب يدفع الثّمن»

على طرفي نقطة التموضع التّام مع خيار المقاومة، بكلّ ما يحمله ذلك من تبعات الغوص الكامل في مستنقع سياسة الإقليم والمرحلة، تسود الكثير من الخطابات البائسة، والتي ينتج بعضها محلياً – بحسن نيّة، أو بسوء ـ في حين يُستورد البعض الآخر عبر التّرجمات. واحدٌ من هذه الخطابات هو خطاب «الشّعب يدفع الثّمن»، الذي يطلّ برأسه بأشكال عدة، لا سيّما حين يتعلّق الأمر بالبحث في «مطالب» فصائل المقاومة الفلسطينيّة للوصول إلى وقف لإطلاق النّار.

ليس نادراً، بهذا المعنى، أن تجد من يحلل لك المشهد بمعركة تدور بين حماس مثلاً، وبين إسرائيل، وقد علق «الشعب» فيها عن طريق الخطأ. ولا سرّ يكشف حين نقول نعم، بلا شك، هناك شريحة مجهريّة من سكّان غزّة يعتبرون ما يجري معركة حماس التي لا دخل لهم بها، والتي قد يُضطرون للمساهمة في دفع فاتورتها «رغماً عنهم».

وفي واقع الأمر، فإنّ خطاب «الشّعب يدفع الثّمن» ليس بالغ الخطورة فحسب، بل وممتلئ عن آخره بمغالطات ووقاحات. أوّلى هذه المغالطات هو افتراض انعدام قدرة الجماهير الفلسطينيّة في غزّة (الشعب) على إنتاج المعنى السياسيّ، وتقديم هذا (الشعب) على أنه مجموع عاجز بالمطلق. من يقدّم هذا الخطاب إنما يضمر في دواخل نفسه احتقارا شديدا لكلّ من ليس فردا في جناح مسلح لفصيل فلسطيني فاعل في غزّة، ويعتبره أبله، تافها، «يدفع الثمن»، ويحتاج من يدافع عنه ويتحدث بلسانه، ناهيك طبعا عن تغييبه البالغ الوضاعة لتاريخ قطاع غزّة في العقد الأخير.

إنّ المجموع الفلسطيني في غزّة، هذا «العاجز الذي يدفع الثّمن»، هو الذي انتخب حماس في 2006، وهو الذي نسف (بكلّ معنى الكلمة) مشروعاً دولياً شاركت فيه أميركا وأوروبا وإسرائيل ومصر والسلطة الفلسطينيّة، كان يهدف لحصار غزّة حتى يثور أهلها على خيار إطلاق النار على إسرائيل. وهنا نتحدث عن ممارسات يوميّة، وقرارات، وأفكار ابداعيّة للتغلّب على العالم يمكن أن نذكر منها على سبيل الذّكر لا الحصر أنفاق رفح، وبابور الكاز، وتسيير السيّارات على زيت القلي.

أمّا ثاني المغالطات، والتي لا تقلّ وقاحة عن الأولى، فهي محاولة استحداث «جدار فصل» بين الفلسطيني المسلّح في غزّة، والفلسطيني الذي لا يحمل السلاح، في حين أنّ العلاقة بين الاثنين، على الأرض، هي مثال فاقع على التبادليّة والتفاعليّة، لا سيّما في أوقات العدوان. فلنتذكر أنّ (الشعب) الغلبان الذي (يدفع الثمن) خرج يرقص بعد انتهاء عدوان عامود السحاب فرحا بضرب تل أبيب.

أما المغالطة الثالثة، والأهم، فهي تغييب الجذر والتعامل الوقح مع تاريخ آخر 66 سنة من حياة الفلسطينيين داخل فلسطين المحتلة وخارجها. يريد لنا جماعة «الشّعب يدفع الثمن»، بطريقة ما، أن نلغي تماما فكرة أنّ إسرائيل قائمة، وأننا سنظلّ نموت ما دامت قائمة، وأن نغضّ البصر عن الحقيقة التالية: منذ لحظة نكبتهم إلى اليوم، مال فؤاد الفلسطينيين إلى الذين يقاومون ضدّ إسرائيل. عندما كانت فتح تقاوم، كان (الشعب) مع فتح. عندما قاومت حماس، صار (الشعب) مع حماس. لم يحدث ولا مرّة في تاريخ القضيّة أن وُجدت مسافة بيّنه، بين أي تجمع بشري فلسطيني، وبين الحالة الريادية المنطلقة من هذا التجمّع في مواجهة إسرائيل.

والقائمة، في حقيقة الأمر يمكن لها أن تطول. فهذا الخطاب ينزع عن المقاومة، وأفرادها، مركباتهم الإنسانيّة والشعبيّة. إذا كان (الشعب) يدفع الثمن، فهذا يكون بافتراض أنّ «المقاومة» لا تدفع الثمن – وإنّ هذا افتراء وهبل. إنّ أفراد كتائب القسّام وسرايا القدس هم من شباب غزّة، وأنا متأكد أنّ من لا يستشهد منهم في ميدان المعركة، فسيكون – بلا شك – على جدول أعماله بعد انتهائها أن يزور قبر أخيه، أو ابن عمّه، أو صديقه، أو أن يلقي نظرة على بيت مهدّم مملوك له أو لأحد من معارفه.

ولهذا كلّه نقول لأصحاب خطاب «الشعب يدفع الثمن»: روح يا حبيبي العب بعيد أرجوك، ومتصدعناش.

محمود عمر

كاتب من فلسطين

حلم ..

رامي جبارين / مشروع المخزن – فلسطين

arabi@assafir.com

ـ مصر: «الشتيمة» مقاومة؟ – هدير المهدوي
ـ العدوان على غزّة: مانيفستو ضدّ الابتذال – محمود عمر
ـ «داعش».. النتيجة الطبيعية – علي عايض القحطاني
ـ يستقبل الموقع مساهماتكم واقتراحاتكم وتعليقاتكم:
على «فايسبوك»: السفير العربي ـ Assafir Arabi
على «تويتر»: السفير العربي - Arabi Assafir@

.. بألف كلمة

كل الدنيا فلسطين

جنوب أفريقيا

اليابان

شيكاغو (من صفحة «revolution news» على فايسبوك) المزيد من الصور على موقعنا

قالوا في غزّة

نزار قباني

يا تلاميذ غزة علّمونا
بعض ما عندكم فنحن نسينا..
علمونا كيف الحجارة تغدو
بين أيدي الأطفال ماسا ثمينا..
كيف تغدو دراجة الطفل لغما
وشريط الحرير يغدو كمينا..
كيف مصاصة الحليب
إذا ما اعتقلوها تحولت سكينا
يا تلاميذ غزة لا تبالوا
بإذاعاتنا ولا تسمعونا..
اضربوا اضربوا بكل قواكم
واحزموا أمركم ولا تسألونا.

من قصيدة «يا تلاميذ غزة»

محمود درويش

لأن غزة بعيدة عن أقاربها ولصيقة بالأعداء.. لأن غزة جزيرة كلما انفجرت، وهي لا تكف عن الانفجار، خدشت وجه العدو وكسرت أحلامه وصدته عن الرضا بالزمن. لأن الزمن في غزة شيء آخر.. لأن الزمن في غزة ليس عنصراً محايداً. إنه لا يدفع الناس إلى برودة التأمل، ولكنه يدفعهم إلى الانفجار والارتطام بالحقيقة. الزمن هناك لا يأخذ الأطفال من الطفولة إلى الشيخوخة ولكنه يجعلهم رجالاً في أول لقاء مع العدو.. ليس الزمن في غزة استرخاء ولكنه اقتحام الظهيرة المشتعلة.. لأن القيم في غزة تختلف.. تختلف.. تختلف.. القيمة الوحيدة للإنسان المحتل هي مدى مقاومته للاحتلال. هذه هي المنافسة الوحيدة هناك.

ليست غزة أجمل المدن ..ليس شاطئها أشد زرقة من شواطئ المدن العربية، وليس برتقالها أجمل برتقال على حوض البحر الأبيض .
وليست غزة أغنى المدن ..وليست أرقى المدن وليست أكبر المدن. ولكنها تعادل تاريخ أمة. لأنها أشد قبحاً في عيون الأعداء، وفقراً وبؤساً وشراسة. لأنها أشدنا قدرة على تعكير مزاج العدو وراحته، لأنها كابوسه، لأنها برتقال ملغوم، وأطفال بلا طفولة وشيوخ بلا شيخوخة، ونساء بلا رغبات، لأنها كذلك فهي أجملنا وأصفانا وأغنانا وأكثرنا جدارة بالحب.

من قصيدة «صمت من أجل غزة!»

سميح القاسم

تقدموا
تقدموا
لا خوذة الجندي
لا هراوة الشرطي
لا غازكم المسيل للدموع
غزة تبكينا
لأنها فينا
ضراوة الغائب في حنينه الدامي للرجوع
تقدموا
من شارع لشارع
من منزل لمنزل
من جثة لجثة
تقدموا
يصيح كل حجر مغتصب
تصرخ كل ساحة من غضب
يضج كل عصب
الموت لا الركوع
موت ولا ركوع
تقدموا
تقدموا

من قصيدة «تقدموا»